الحمد لله المُتَوحّدِ بالعظمةِ والجَلال. المتفردِ بالبقاء والكمال. نحمده سبحانه ونشكره تعالى على جزيلِ الإِنعام والإِفضال. ونشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال. ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله. المنقذ بإذن ربه مِن الضلال. الشريف الخصال. الرءوف الرحيم بأُمّتِهِ.

رحمةٌ كله. وحزمٌ. وعزم. ووقار. وعصمة. وحياء.

فصلِّ يا ربّ على مَن هو للخَلْق رحمةٌ وشفاء. وعلى الآل والصحابة جميعاً. والتابعين ومَن تَبِعهم بإحسان. ما تزينتِ بالنجوم السماء.

أما بعد. أيها المومنون الصالحون. هاهم الحجاج الميامين **كأنهم قد عادوا لأوطانهم.**

هاهم ضيوف الرحمن قد أوشكوا على الرجوع لنا سالمين. وغانمين إن شاء الله تعالى. بعد أن فرغوا مِن تأديةِ مَناسِكهم. وقاموا بخَامِسِ رُكْنٍ مِن أركان ديننِا الإسلامي. واجتهدوا بكلِّ تفَانٍ في إتْمَام حَجّهم وأداءِ واجبهم.

لقد وقفوا بعرفات. وطافوا بالبيت.

لقد وقفوا بعرفاتَ. وطافوا بالبيتِ. ورمَوْا الجمراتُ. فَفَازوا بِتَكْرِيمٍ لا يُضَاهِيهِ تكريمٌ. وكلّهم حريصٌ على أَنْ تُقبل منه مناسكه. وأن يرجع إلى بلده وقد تطهر من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

فغَبَطْنا ماهم فيهُ. وتمنينا لو كُنَّا معهمُ. حيثما حلوا ونزلواُ. في تلك البقاع المقدسةُ. لكن قِصَر ذاتِ اليد. وضَعْف البدنُ. مَنَعَانا عن تلك المنازل الطاهراتُ. فوقفنا موقف المُتفرج البَكَّاءُ. حالُنا في هذا حالُ البَكَّائين مِن صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم الذين تَخَلَّفوا عنه لأعذارٍ مَنَعَتْهُمْ. قال الله سبحانه وتعالى مخبرا عن حالهم (لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ. إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ. مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ. وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ)

ولَدَى رجوع الرسولﷺ مِن غزوة تبوك قال: إنَّ بالمدينة قوماً ما سِرْتُم مسيراً. ولا قطعتم وادياً. إلَّا كانوا معكم فيه. قالوا يا رسول الله وَهُم بالمدينة؟! قال: وهم بالمدينة. حَبَسَهم العُذْرُ. رواه أحمد في مسنده.

عبادَ الله المومنين. إن الاسلام

عبادَ اللهِ المومنينَ. إن الإسلام قد فسح مجال العبادةُ. وَوَسَّعَ دَائِرتَها. بحيث شَمِلَتْ أعمالاً كثيرةً بمجهودات يسيرةٌ. وهو بِحكَمه رَاعَى جميعَ مُستوياتِ الناسُ. رَاعَى حَالَ الغَنِيّ كما رَاعَى حَالَ الفقير. وَرَاعَى حالَ الصحيح كما راعى حَالَ المريضُ. فجاء كالبَلْسَمِ الشافيُ. والمَطَرِ الزَّاخر يَنْهَلُ مِنه كلٌّ بِحَسَبِ نيَّتِهِ. واعتقادِهِ. وجدِّهِ واجتهاده.

وإذْ فَرَضَ اللهُ الحجَّ على المستطيع مِن الناسُ. وهو مَن مَلَكَ المَالَ المُوصلَ إلى الحج مَعَ القُدْرة على أداءِ المناسك.

ففي الوقت ذَاتِهِ لم يُحْرِم الفقير المُعْدَم وغير القادرُ. الذي تَتُوقُ نفسُه لأداء هذا المَنْسَك العظيمُ. ويَتلهَّف شوقاً وطَمَعاً في الحُصُول على أَجْر الفريضة إذا هو اجتهد وأخلص في عباداتٍ أخرى بديلة عن هذه العبادةُ.

فلقد جاء فقراء المهاجرين للرسول ﷺ وقالوا: ذهب أهل الدثور بالأجورُ. يصلون كما نصلي ويصومون كما نصومُ. ويتصدّقون بفضول أموالهمُ. قال أو ليس قد جعل الله لكم ما تَصَدَّقونُ. إنَّ لكم بكل تسبيحة صدقةٌ. وكل تكبيرة صدقةٌ. وكل تحميدة صدقةٌ. وكل تهليلة صدقةٌ. وأمر بالمعروف

وكل تهليلة صدقةٌ. وأمر بالمعروف صدقةٌ. ونهي عن منكر صدقةٌ. إلى آخر الحديث الذي رواه مسلمٌ.

فانظروا -رحمكم الله- كيف أن الله سبحانه وتعالى جعل ثواب الذِّكْر وهو عبادة خفيفة مُتَيَسِّرَةٌ لكل إنسان سواء كان فقيرا أو مريضا. جعله كثواب الصدقة بالمال. وهكذا هو حال جميع العبادات ذات المشقةٌ. فلكل عبادة منها بدائلُ. وإذا كان الحج فَرْضًا على المستطيع الذي يملك مالاً يُمَكِّنُه أن يصل به إلى مكة والرجوع. مع التمتع بالصحة والقُدرةُ. وهذا شيء لا يتوفر للكثير منا اليومُ.

فكيف يدرك المسلم ثواب الحجُ. وهَل شَأْنُ هذه العبادة شأن الصدقة كما مرَّ معنا في الحديث السابقُ.

فقد أرشدنا حبيبُنا وقُرَّةُ أعيننا رسولُ الله ﷺ إلى أنواع من العبادات والطاعاتُ. وجعل ثوابها كثواب الحج والعمرة. وهذا حَالُ النبي ﷺ الشفوق بأتباعهُ. الحريص على نجاة أمته. فلقد قال الله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم... رءوف رحيم)ُ.

أيها الأخ المسلمُ. هل تريد أن تحصل على ثواب الحج والعمرة وأنت في بيتك وبَلَدكُ. هل تريد ذلك من غير سَعْي منك للحصول على جواز سفر ولا مَبْلَغٍ كبيرٍ تدفعه؟

على جواز سفر ولا مَبْلَغٍ كبيرٍ تدفعه. إنْ كنتَ تريد ذلك فَــيَمّمْ شَطْرَ المسجدِ. واقصدْهُ ولبِّ نداءَ الآذانِ. وصَلِّ الصبح في جماعــة واجلسْ في مكانك حتى تصلي ركعتي الضحى.

فقد رغبنا النبيﷺ في لزوم المساجد والجلوس فيها لِذِكْر الله وقراءة القرآن حيث قالَ: مَن صلى الصبح في جماعةٍ. ثم قعــد يــذكر الله حتى تطلع الشمسُ. ثم صلى ركعتينِ. كانت له كأجر حجة وعمرة تامةً. تامةً. تامةً. رواه الترمذي.

وروى الطبراني عنهﷺ: مَن صلى الصبح ثم جلس في مجلسه حــتى تمكنه الصلاةُ. كان بمنزلة عمرة وحجة مُتَقَبلتَيْنِ.

وتطهَّرْ في بيتك وتوضأْ واقصدِ المسجدَ للصلاة المكتوبة فإن أجــر ذلك يعدل أجر الحجِ. قالﷺ: مَن خرج مِن بيته متطهّراً إلى صلاة مكتوبةٍ. فأَجْرُهُ كأَجْرِ الحاج المحرمِ. رواه البيهقي وأبو داودُ.

وأخرجْ أيها المسلم لِمَجَالس الفِقْه في المسجد لِتَتَعَلَّمَ العِلْمَ أو لِتُعلّمه. فإن لك بذلك كأَجْرِ الحجِ. فقد قالﷺ: مَن غَدَا إلى المــسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يُعَلِّمَه. كان له كأجر حاج تاما حجتــه. رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به.

وهناك أعمال وواجبات يقوم بها

وهناك أعمال وواجبات يقوم بها المسلم ويؤديها على الوجه الكامل. يعدل ثوابها ثواب الحج والعمرة. من غير تعب ولا كبير مشقة. ومن هذه الأعمال بر الوالدين.

فقد جاء رجل إلى النبيﷺ فقال: إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه. فقال: هل بقي من والديك أحد. قال: أمي. فقال: قابل اللهَ في برّها. فإذا فعلتَ ذلك فأنتَ حاجٌ ومعتمر ومجاهد. رواه الطبراني.

وفي رواية البيهقي: فاتقِ اللهَ فيها. فإذا فعلتَ ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد. فإذا دعتك أمُّك. فاتقِ الله وبرها.

وإذا رأينا مَن يحج المرة بعد المرة وهو عاق لوالديه أو لأحد منهما. ولا يحسن إليهما ولا يبرهما. فإنما يُضِيع جهده ووقته. ومَن كان باراً بهما مطيعاً لهما على الدوام فهو حاج ومعتمر طول الوقت.

بل إنه لَيُكْتَبُ للرجل بالنظرة ينظرها بعين الشفقة والرحمة إلى أحد أبويه أجر الحج.

فقد روى البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس أن رسول اللهﷺ قال: ما مِن وَلَدٍ بارٍّ ينظرُ إلى والديْه نظرةَ رحمة. إلا كُتب له بكل نظرة حجة مبرورة. قيل وإنْ نَظَرَ

نظرة حجة مبرورةٌ. قيل وإن نَظَرَه كل يوم مائة مرّةٍ؟ قال: نِعَم الله أكبر وأطيبُ.

ومِن بعض الأعمال الصالحة كذلكُ. التي جعل الله ثوابها كثـواب الحج والعمرةُ. نذكر منها ما يلي:

صلاة العشاء والصبح في جماعةُ. فإن صلاة العشاء في جماعة تعدل حجةً. وصلاة الغداة في جماعة تعدل عمرةً.

وقال ابن رجب الحنبلي: شهودُ الجمعة يعدل حجةَ تطوعٍ. قـال سعيد بن المسيب: هو أحب إليّ مِن حجة نافلةُ. وقد جعل النبيﷺ المـُبَكّر إليها كالـمُهدِي هَدْياً إلى بيت الله الحرامُ. لذلك جاء في الخبرَ: الجمعةُ حجُّ المساكينُ.

وقال بعض الصحابةُ: الخروجُ إلى العيد يوم الفطر يعـدل عمـرةً. ويوم الأضحى يعدل حجةً.

وكذلك اجتناب أَكْلِ الحرامُ. يَعْدِل ثوابَ الحج المُتكرِّرِ. قال بعض السلفُ: تَرْكُ دَانِقٍ مما يكرهه الله أحبُّ إليَّ مِن خمسمائة حجـةً. والدانق هو سُدُس الدرهمُ.

وقال علماؤنا: أداء الواجبات كلها

وقال علماؤنا: أداء الواجبات كلِها أفضل من التنفل بالحج والعمرة وغيرهما. فإنه ما تقرب العبادُ إلى الله تعالى بأحبَّ إليه مِن أَدَاءِ مَا افْتَرَضَ عليهم.

وقالوا أيضا: كَفُّ الجوارح عن المُحَرَّمات أفضلُ مِن التطوع بالحج وغيرِه.

والمشيُ في حوائج المسلمين يعدل أجر الحجِ. قال الحسن: مَشْيُك في حاجة أخيك المسلم خير لك مِن حجةٍ بعد حجة.

فاسعوا عبادَ الله في مرضاة ربكم.

واذكروه لِمَا هَدَاكم. وبروا آباءكم وأمهاتكم.

ويَمِّموا مصالحَ عبادِه.

وانفعوا إخوانكم بما تَقْدِرون عليه.

وَفَّقَنَا اللهُ وإياكم لما يحبه ويرضاه.

وهدانا وإياكم سبيلَه القويمَ. آمين يا رب العالمين.

سبحان ربك رب العزة...

- الخطبة الثانية -

الخطبة الثانية

الحمد لله على توفيقه وامتنانه. والشكر له سبحانه على جزيل إحسانه. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شـيء قدير. ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله. الداعي إلى سبيله ورضوانه. القائل: الخلق كلهم عيال الله. وأحبهم إل الله أنفعهم لعياله. صـلى الله وسـلم عليه. وعلى آله وأصحابه. وأتباعه من العلماء والصالحين والمومنين.

أما بعد. فقد حُكِي أن بعض الصالحين كان يحج عاما. ويجاهد عاما. فخرج في عام الحج إلى سوق بغداد بخمسمائة دينار لشراء راحلة. ومتاع يتجهّز به للحج. فمرَّ على مزبلة فوجد امرأة تقطع جيفة وتأكل منها. فأنكر عليها ذلك. وسـألها عن خبرها.

فذكرت له أنها هاشـمية من آل البيت الكرام. ولها أيتام. لم يأكلوا منذ أربعة أيام. فقالت: يا عبدَ الله لقد أُحِلت لنا أكل الميتة واضـطررنا إليها. فدفع لها الدنانير ورجع ولم يحج.

ولما قَدِمَ الحجاج خرج لِمُلاَقَاتِهم. فكلّما قال لواحد تقبَّل الله حجّك. يقول له: وأنت تقبَّل الله حجّك. أمَا إننا التقينا في مكان كذا. وكل حاج يقول له مثل ذلك.

ولما نام تلك الليلة وهو على تلك الحالة متعجّبا. رأى النبيﷺ في تلك الليلة. فقال له: لا تعجب مِن تهنئة الناس لك بالحج. فإني سـألتُ الله أن يخلق ملكا على صـورتك. فهو يحجّ عنك إلى يوم القيامة. بما أغثت تلك المرأة الملهوفة. فإن شئت فحج وإن شئت فلا.

وهكذا يظهر لنا أيها المومنون ثواب مســاعدة المحتاجين. وإغاثة الملهوفين. وتفريج المكروبين. وما أكثرهم بين أظهرنا اليوم. فكل عمل اجتماعي نافع يعده الإســلام عبادة من أفضــل العبادات. كإعانة ذوي الفاقة. ومســاعدة العجزة والمســاكين. وإدخال الســرور عليهم. فهذه كلها وغيرها عبادات عظيمة يســتحق فاعلوها الفضــل والامتنان من العلي الكريم. وإن كان الحج لا يأتي إلا مرة واحدة في العام. فإن هذه الأعمال والفضائل تتكرر كثيرا في حياتنا.

قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لأَن أكفل بيتاً من المسلمين يوما أو أسبوعا أو شهرا. خيرا لي من حجة بعد حجة الفريضة.

وجاء أحد الأغنياء يريد الحج إلى سيد الصوفية الربانيين بشر الحافي رحمه الله. يسأله النصيحة والدعاء. فقال له بشر: ما رأيك لو دللتك على أمر تدرك به مرضاة الله في منزلك.

ادفعْ مالَ النفقة إلى مَدِين تقضي دينه. أو فقير ترمّ شعثه. أو معيل تحي عياله. أو مربي يتيم تفرحه. وإن قوي قلبك أن تعطيها لواحدٍ فافعل.

فإن إدخال السرور على قلب امرئ مسلم. وتغيث لهفان. وتكشف ضر محتاج. أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام.

فمَن استطاع منكم أيها المومنون أن ينفع أخاه فلْينفعه.

واعلموا رحمكم الله أن أبواب الخير لا تقتصر على ما ذكرنا.

فهناك أعمالا أخرى يستطيع المسلم القيام بها ويُحسب له فيها أجر الحج والعمرة تطوّعا.

كالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهداية الأعمى. وتدل المستدل على حاجته. وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث.

وتحمل بشدة ذراعيْك مع الضعيف. وتدخل السرور والبسمة على الوجوه المكفهرة البائسة. فاجتهدوا رحمكم الله. في نفع إخوانكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين. وحزبك المفلحين. وعبادك الصالحين.

واستعملنا لمرضاتك عنا. ووفقنا لمحابّك منا. وصرفنا بحسن اختيارك لنا.

اللهم إنا نسألك لنا ولحجاجنا الميامين جوامع الخير. فواتحه وخواتمه.

ونعوذ بك من جوامع الشر. فواتحه وخواتمه.

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك. وعزائم مغفرتك. والسلامة من كل إثم. والغنيمة من بر. والفوز بالجنة. والنجاة من النار. آمين يا رب العالمين.

عباد الله...

خطبة جمعة بعنوان:

أدرك ثواب الحج

الشيخ سيدي سالم بن ابراهيم رحمه الله

الامام الخطيب بجامع الجيلاني أدرار - الجزائر